مسرحية "الأميرة والصعلوك"

فرج، الفريد.
الأميرة والصعلوك/ الفريد فرج . ـ ط٢ . ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩ .
٥٢ص ؛ ٢٠سم .

نبيل فرج
كاتب وناقد

المؤلف

الفريد فرج (١٩٢٩ ـ ٢٠٠٥) كاتب مسرحى له عديد من الأعمال التى تعد اليوم من كلاسيكيات الأدب المسرحى . حصل على عديد من الجوائز المصرية والعربية ، وترجمت بعض مسرحياته إلى اللغات الأجنبية .

وتؤلف المقالات والدراسات التى كتبت عنه وعن مسرحه مجلداً ضخما من مئات الصفحات .

وجولة فى مسرحيات الفريد فرج تنقلنا من مصر الفرعونية فى "سقوط فرعون" عام ١٩٥٧ إلى بغداد الخالية فى حكايات " ألف ليلة وليلة" ، إلى بادية الشام وشمال الجزيرة العربية فى "الزير سالم" عام ١٩٦٧ ، إلى مصر الحديثة فى "سليمان الحلبى" عام ١٩٦٥ ، "وزواج على ورقة طلاق" عام ١٩٧٣ .

بدأ حياته الأدبية فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضى بكتابة الشعر والقصة والرواية والمسرحية والمقال . غير انه لم يلبث أن اتجه بكل ثقله إلى المسرح ، وقدم عشرات الأعمال التى شغلت النقد والنقاد ، وأقبل عليها الجمهور ، وكتبت له الشهرة . وكان آخرها مسرحية «الأميرة والصعلوك» التى أعادت الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعها هذه الأيام .

وكانت الطبعة الأولى من هذه المسرحية قد صدرت على نفقة المؤلف فى عام ٢٠٠٣ ، وقدمها المسرح القومى فى صيف عام ٢٠٠٥ قبل رحيل الكاتب بشهور قليلة بإخراج نور الشريف ؛ الذى قام بدور الصعلوك ، وقامت منال سلامة بدور الأميرة .

ومسرحية "الأميرة والصعلوك" هى التجربة السابعة لألفريد فرج من "ألف ليلة وليلة" التى صاغها صياغة عصرية لتأصيل المسرح المصرى الحديث ، وإبراز خصوصيته ، بالتراث الشعبى والتاريخ والروح القومية ، مستفيدا بالطبع من نهج هذه المسرحية ،

وفى كل أعماله ، من قراءاته الواسعة فى الآداب العالمية التى تعظم الخيال والوهم كحيلة فنية تمنح المبدع من الإمكانيات ما يستطيع أن يدلل بها على حقائق عديدة ، وإلا لما كان لهذا الخيال والوهم هذا الأثر أو هذه الفاعلية القوية فى الشخصيات والمواقف الدرامية التى تحرك الأحداث أحيانا من النقيض إلى النقيض .

وإذا كان لكل فكرة أو ثمة أنساب فى الماضى ، يستلهمها الكتاب بعضهم عن بعض ، فإن مثل هذه الفكرة الخاصة بالوهم والخيال التى نطالعها فى مسرح ألفريد فرج ، كما نطالع عنده أفكارا عن القدر ، والمستحيل ، والتردد ، والانتقام ، نجدها فى نصوص لا تحصى من الأدب العالمى لسوفوكليس ، وشيكسبير ، وسيرفانتس ، وبريخت ، وكامى ، وهارولدبنتر وغيرهم من المبدعين عبر العصور ، الذين هيمنوا على الكاتب ، وكان دائم النظر فى إنتاجهم ، مثلما كان دائم النظر فى أدب أدباء جيله الذين ساروا معه فى طريق واحدة .

وعن التأثر والتأثير كثيرا ما يقال إن عددا من الكتاب خرجوا من عباءة هذا الكاتب أو ذاك ، تدليلاً على هذه الحقيقة .

ولا شك أن ولع الفريد فرج بالأسفار والتنقل فى البقاع كان من العوامل المساعدة على العثور على هذه التيمة فى نصه الخاص الذى يمكن أن نتعرف عليه دون أن يوقع باسمه عليه .

أما المسرحيات السابقة لألفريد فرج على "الأميرة والصعلوك" من حكايات "ألف ليلة وليلة" ، والتى لا تقل عن هذه المسرحية فى الإحكام والنضج ، فأهمها وأشهرها "حلاق بغداد" عام ١٩٦٢ ، و"على جناح التبريزى وتابعة قفة" عام ١٩٦٩ ، "ورسائل قاضى أشبيلية" عام ١٩٧٥ .

تجرى الأحداث المادية لمسرحية "الأميرة والصعلوك " فى القرن الثامن عشر بين أميرة وصعلوك وكتبى وشحاذ ، فى السوق وقصر اللؤلؤ بالروضة والمحكمة ، ومعهم مجموعة من الشخصيات المجاورة التى تترابط وتتآلف معها فى وحدة فنية متماسكة ، مثل القاضى والزوج الأمير والوصيفة والحراس ، الذين يلقون بمزيد من الضوء على الشخصيات الرئيسية فى المسرحية ، وعلى سلوكها وحقيقة نفوسها ، وبيان حساسيتها وماهيتها بين الفطرة والعقلانية .

أما المضمون فيعبر عن رؤية ألفريد فرج للعلاقة بين المحبين وحق المرأة المكسورة الجناح فى الشرق فى أن تكون كفءاً للرجل ، مساوية له فى كل فعل .

ومع هذا فان الأميرة كأنثى ندية القلب تملك من العواطف والمشاعر مالا يملكه الرجل ، ترق لزوجها الذى أساء إليها بخيانتها مع الخادمة فى المطبخ ، وسط القدور وأبخرة الطعام ، وذلك بعد أن تنجلى المعركة بين الإرادات المتنازعة ، وتكون قد أشفت غليلها أو نفّست عن غضبها من هذا الزوج الخائن ، وعرفت كيف تنتقم منه بزواجها الشرعى من هذا الصعلوك الذى رأته بالنسبة لها النظير المكافىء للخادمة بالنسبة لزوجها الأمير .

ومغفرة الأميرة لزوجها قيمة إنسانية تتمشى مع كل الرسائل السماوية والآداب التى لا تغلق باب الصفح أمام الآثمين ، ولا تجعلهم يفقدون التعاطف الإنسانى عليهم .

وتقدير ألفريد فرج للمرأة المعتزة بنفسها وبحقوقها فى بيئة اجتماعية وثقافية تخفض من شأن المرأة ، ظل من المعانى الملازمة للكاتب فى كل مسرحياته ، ابتداء من "صوت مصر" عام ١٩٥٦ ، وإن لم يلتفت إليها النقد بالقدر الذى تستحقه .

وداخل هذا البناء المسرحى الذى يتسم بالتنسيق والتنظيم ، تتبدى -بوضوح إن وضعنا فى حسابنا أعمال ألفريد فرج الأخرى- حيرة الإنسان الذاتية ، وما ينوء به من معاناة إزاء ما فى الحياة والواقع من تناقضات وتمييز وخلط لا نجاة للفرد منه . وهى صور فادحة تعوق تقدم المجتمع ، وتحول دون تحقيق أحلامه فى العدل والأمن والحرية .

ويطرح الكاتب أيضا فى هذه المسرحية النقدية تساؤله الذى لا يهدأ عن الأخلاق فى أبعادها الشخصية والعامة ، ورأيه فى المعرفة وحرفة التأليف ، وفى الرقابة على الكتب التى تريد شطب كل كلمة يستشف منها من قريب أو من بعيد النيل من السلطة ، وإدانة صاحبها .

ولألفريد فرج كتابات عديدة يدافع فيها عن الإبداع وعن المبدعين الذين لا يجدون الحماية من أحد ، سواء بتبرئة ساحتهم من مثل هذه التأويلات التى تزعم العلم ببواطن الأمور باعتبار أن المبدعين لا يكتبون على الورق إلا ما تمليه عليهم شياطينهم - كما جاء فى هذه المسرحية- أو بأنهم لا يختصون بإبداعهم أحداً بالذات يبرر مصادرة أعمالهم وقمع فكرهم وشطحاتهم من قبل الرقابة ، حين تتعنَّتْ وتحمِّل النصوص ما لا تحتمل من اسقاطات مباشرة هى من وهم الرقباء الذين لايشق لهم غبار ، ويقصدون من ورائها التقرب من السلطة ، وإعلان ولائهم وإخلاصهم لها ، لأن الفن لايقف عند هذه الحدود الجزئية الضيقة ، وإنما يتطلع إلى الكلي والكوني ، وإذا وقف عند الحدود الجزئية العابرة لا يكون إبداعاً ، على ألا يعنى هذا انفصال الفن عن الحياة .

وبهذا التناول يضحى ألفريد فرج بالاجتهاد الفنى من أجل أن يقي المبدع من شر هذه التأويلات التى تقدم عادة لسلطة باطلة ، عاطلة عن الفهم الصحيح .

وتعتبر قضية الرقابة والمصادرة وملاحقة الكتاب ، التى تعانى منها الثقافة العربية ، أخطر ما تبتلى به .

كما يطرح الكاتب فى هذه المسرحية كثيراً من القضايا وأحوال الدنيا التى لم ينعزل أو يغترب عنها . وظلت تثقل قلبه وتدفعه للكتابة فى كل الأشكال الأدبية ، حتى يستطيع المجتمع أن يتخلص من قصوره وقيمه السلبية ، ويتمسك بالإيجابيات التى تجعل الحياة عفية وجميلة ، كما يريد لها الأدب والفن أن تكون .